جديد . فكأن السنوات التي قضاها المتعلمون في طلب العلم عن طريق الكتابة العربية ذهبت سدى واصبح حتماً عليهم ان يشرعوا — هم والاميون على حدٍّ سوى — في تعلم الكتابة الجديدة

ويقول انصار مصطفى كمال ان ما يخسرهُ المتعلمون (وعددهم لا يجاوز خمس عدد الامة) من جراء هذا الانقلاب لا يوازي شيئاً في جانب ما يربحهُ الاربعة الاخماس الباقون . فضلا عن ان ما يخسرهُ الفريق الاول لن يعسر استرداده في فترة من الزمن فلا ينقضي ردح من الزمن حتى يصبح السواد الاعظم من الامة يحسن القراءة والكتابة

ولا يزعم القارىء ان فكرة استبدال الحروف اللاتينية بحروف عربية عرضت للغازي لحظة بل هي اختمرت في نفسه بعد ان قلَّبها على جميع وجوهها فتبين لهُ نفعها من ضرّها وأدرك بالبصيرة الثاقبة ما لا بد ان تسفر عنهُ من النتائج الباهرة . ولذلك اخذ يمدُّ لها المدة ويترقب الزمن حتى اذا استكملت شروطها اصدر امرهُ باستعمال الحروف الجديدة واضاف الى وجوه الاصلاح التي عالجها وجهاً آخر . لذلك سيظل اسمه رمزاً الى النهضة التجديدية في تركيا ويسجل لهُ التاريخ مفاخر سوف تبقى ما بقي الزمان

وانك لتمر اليوم باسواق انقرة وشوارعها فلا تجد من آثار الحروف العربية اكثر مما تجد من آثار السلف الراحل وغير ما تراهُ منقوشاً على ابواب الجوامع والنصب والتماثيل من آيات واحاديث سوف يحرص القوم عليها كما يحرصون على الآثار في المتاحف. وقد يمر عابر السبيل في انقرة والاستانة بجماعات قد تألبوا على ابواب المكاتب والمخازن واخذوا يحاورون في الحروف الجديدة المعروضة فيخيَّل اليه انهُ في وسط امة قد نهضت على بكرة أبيها لتعلم القراءة والكتابة — لا فرق في ذلك بين الحدث والكهل او بين الرجل والمرأة

ولم يخل هذا الانقلاب من مشاكل كثيرة اشدها ما عانتهُ طائفة الموظفين وارباب الصحف وتلاميذ المدارس العالية. وطائفة الموظفين في تركيا تكاد تكون عالة على الحكومة فان جانباً غير يسير منها — ما عدا أصحاب المناصب العالية — هم ممن لا يحسنون شيئاً غير اليسير الذي يعرفونهُ من القراءة والكتابة بالحروف العربية . وقد عالج الغازي امرهم فلم يجد بدّاً من استحثاثهم على تعلم الحروف الجديدة والا خسروا مناصبهم

اما ارباب الصحف فقد كانت مصيبتهم اعظم لان ابدال حروف الصحف العربية بين عشية وضحاها لم يكن بالامر الهين وقد كان لابد ان يؤدي الى نقص عدد القراء نقصاً كبيراً . فالصحيفة التي كانت تطبع بضعة آلاف نسخة بالحروف العربية وجدت

نفسها حيال مشاكل جمة اهمها انها لم تجد من يستطيع قراءتها اذا هي استعملت الحروف اللاتينية فتخسر بذلك مورد رزقها ورزق عمالها فضلاً عن ان الذين يشتغلون بجمع احرفها وترتيبها لن يستطيعوا شيئاً من ذلك بالحروف اللاتينية

ولم يكن مصطفى كمال ليجهل مدى خسارة الصحف من جراء هذا التغيير . فاهتم باعانتها لتفريج شدتها وساعدها على انتهاج الخطة الجديدة . ولولا ذلك لاحتجبت تلك الصحف عن قرائها

على ان مشكلة اعظم كانت تواجه مصطفى كمال . وهي مشكلة التعليم في المدارس وابدالها بالكتب القديمة كتباً جديدة مطبوعة بالحروف اللاتينية . وان المرء ليعجز عن ادراك مدى هذه الصعوبة وانما تتجلى لهُ ناحية منها متى تذكر مختلف العلوم التي يدرسها طلبة المدارس على اختلاف انواعها ولا سيما طلبة العلوم العالية كالطب والصيدلة والهندسة والحقوق وما اشبه . اضف الى ذلك مشكلة كتب الصرف والنحو . وليس وجه الاشكال ابدال طائفة من الحروف بغيرها بل وضع قواعد اساسية تقوم عليها اللغة

ومن العبث محاولة تصوير هذه المشكلة بصورتها الحقيقية في مثل هذه الفذلكة الموجزة . وانما نقول بوجه الاجمال ان المشكلة كانت جديرة بايهان العزائم لولا ان للغازي ارادة تفلّ الحديد . وقد عالجها بما هو مشهور عنهُ من الروية ومضاء العزيمة فاصبحت اليوم جميع الكتب المدرسية — من علمية وادبية وفنية وغيرها — مطبوعة بالاحرف اللاتينية وهي المعول عليها في رواج المدارس . فترى اذن ان القضاء على الحروف العربية في تركيا اصبح حقيقة واقعة . وقد قطع الغازي بهِ آخر صلة كانت تربط الطورانية بالعربية

***

وعلى ذكر المدارس وانتشار روح الرغبة في التعليم نورد فيما يلي خلاصة موجزة كتبتها السيدة جريس اليسون الانكليزية في هذا الشأن على اثر طوافها بانقرة وقونية وغيرهما من مدن الاناضول فلقد كتبت السيدة تقول انهُ يجدر بمن يريد ان يحكم على تركيا ان يلقي نظرة على حالة التعليم فيها وعلى رغبة الشعب في انشاء المدارس . وقد كان مصطفى كمال منشأ هذه النهضة كما كان منشأ ضروب كثيرة من ضروب الاصلاح . وكان شعار الاتراك في ذلك « ان طلب العلم من اقدس الفروض » وانك لتعجز عن ادراك مدى حماسة الشعب في نهضتهِ الجديدة لطلب العلم ولتشييد المدارس في جميع انحاء الدولة

وادهش ما في هذه النهضة سرعة انتشارها بين جميع طوائف الامة بل بين اصغر قرى الدولة . ولقد اتيح لكاتبة هذه السطور ان تطوف بمختلف الانحاء مع عامل (والي)

قومية وزوجه . وهذا العامل من اشد المجاهدين في سبيل نشر العلم وتشييد المدارس . وقد وقفت في اثناء طوافي معهُ ومع زوجه على آثار مساعيه الجليلة في هذا الشأن . فكنا كلما خطونا خطوة يشير بسبابته الى دور العلم التي سعى في تشييدها . وهو في ذلك معجب بعمله مغتبط بمسعاه . وقد كان خروجهُ للطواف مع زوجه خروجاً على تقاليد قومه العتيقة ولم أر قط على وجه امرئ دلائل الغبطة التي رأيتها بوضوح على وجه ذلك الرجل . وفي الواقع انهُ قد بذل من الجهد ما تنوء به راسيات الجبال حتى لقد أفرط بعض الشيء في اغتصابه طائفة من المنازل لتحويلها دوراً للتعليم

وقد جعل التعليم على ثلاث درجات وهو « ابتدائي » و « ثانوي » و « وعالٍ » ومع ان لغة التعليم الرسمية هي التركية بالحروف اللاتينية الا ان الطلاب مرغمون على تعلم اللغة الفرنسوية ايضاً . ورجال التعليم يبذلون عناية خاصة بتعليم الكيمياء والحساب والفنون والآداب على اختلاف انواعها . ولكن اهم ما يعنى به الغازي من العلوم هو التاريخ ولاسيما الامة التركية واسباب ما مرت به من الاطوار المختلفة حتى طورها الحالي وانقلابها من سلطنة الى جمهورية

وليس اهتمام الغازي بعلم التاريخ بالامر المستغرب وهو يعلم ان حكم التاريخ قاس لا يعرف المحاباة وان عبر التاريخ هي خير ما يتعظ به احداث الامة . ولقد بلغ من ولعه بهذا العلم ان يعي من اخبار الامم واسباب رقيها وانحطاطها مالا يعيه صدر غيره . وما علم التاريخ في نظره ان تسرد حوادث الماضي بحسب ترتيبها الزمني بل ان تبحث فيها عن العلة والمعلول وعما بينها من ربط لتستخرج منها العبر والعظات . فاما ان تقرأ الحوادث ولا تقرأ ما بين سطورها فمبث بالوقت كالبحث بمطالعة القصص والاساطير

ولذلك يشرف الغازي على برامج المدارس ويتولاها بعنايته . ولا حاجة الى القول بان هذه البرامج لا بد ان تصاب بصدمة خفيفة من جراء استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ولكن اثر ذلك لا يمكن ان يظل طويلاً فما هي الا ان ترسخ الحروف الجديدة في اذهان القوم حتى يواصلوا سيرهم في طرق العلم بنشاط اعظم

وقد اتفق لسيدة اخرى من سيدات الانكليز ان زارت تركيا بعد عهد قريب واستقصت احوال التعليم فيها . ولما وصلت الى ازمير زارت مع الوالي ذات ليلة احدى المدارس الليلية وهي جانب من جامع قديم فابصرت فيمن ابصرتهُ هنالك فلاحاً واسكافيًّا ونوتيًّا قد وخط الشيب رؤوسهم ومع ذلك اقبلوا على العلم بنفوس متلهفة . وكانوا يتلون « دستور حقوق الشعب » الذي يتعلمهُ اليوم جميع الاتراك كباراً وصغاراً ليعرف كل واحد

منهم ما لهُ من الحقوق وما عليهِ من الواجبات . ولاشك ان في هذا الدستور بزور ثورات كبيرة مقبلة فان التركي الذي ينشأ على معرفة حقوقهِ وواجباتهِ لن يستكين في المستقبل لمستبد اي حاكم يزوغ عن الواجب قيد انملة

ومما يجدر بالذكر ان اهتمام الاتراك بالتاريخ في الوقت الحاضر قد انشأ بينهم وبين مدارس الاجانب كثيراً من الخلاف . فهذه المدارس لاتزال تعول على كتب التاريخ التي تنظر الى الاتراك بعين اجنبية وتعتبرهم من الامم المتأخرة غير الجديرة بالحياة . وبعض تلك الكتب تشوه حقائق التاريخ بما يجرح عزة الاتراك ويؤذيهم في كرامتهم . ولذلك توفد وزارة المعارف التركية مندوبين من قبلها — من وقت الى آخر — ليفحصوا حالة التعليم في تلك المدارس ويشرفوا على برامج التدريس فيها. فاذا انسوا من اولياء امر مدرسة ميلاً الى تشويه الحقائق بما لا يتفق مع كرامة الاتراك لم يحجموا عن اغلاق ابواب تلك المدرسة غير عابئين باحتجاج القناصل ومندوبي الدول . وقد اتفق ان زار مرة احد « المفتشين » الاتراك مدرسة في ازمير وحضر درساً من دروس التاريخ فوجد في كتاب التدريس ان ازمير ولاية يونانية وان شرقي الاناضول وطن للارمن فغضب «المفتش» ورفع الامر الى الحكومة فما كان من هذه الاَّ ان امرت باقفال ابواب المدرسة

وفي الواقع ان الغازي لا يغتفر لمن يتعمد تشويه الحقائق بما ينتقص قدر التركي ويمتهن كرامتهِ . والاتراك يقولون انهم عانوا من تعسف الاجانب في الماضي ما لم يبق مجالاً للتسامح في الحاضر فهم لا يفرطون في عزتهم ولا يعذرون من يفرط فيها. وقد مضى الزمن الذي كان القناصل يتعرضون فيهِ لكل صغيرة وكبيرة من شؤون الاتراك ويكرهونهم على ما لا ترتاح اليهِ ضمائرهم

ولا ادل على انتشار روح الرغبة في العلم بين الاتراك من انك قد تزور اسرة فتجد معظم الخدم فيها غائبين. واذا سألت عنهم قيل لك انهم في المدرسة يتلقون دروسهم وليس لسادتهم ان يتموهم من ذلك او ان يقفوا دونهم لان الغازي يريد ان يكون جميع افراد الامة متعلمين

***

واذا نظرنا الى اثر الانقلاب التركي في امم الشرق بوجه الاجمال وجدنا ذلك الاثر واضحاً كل الوضوح ولاسيما ما يتعلق منهُ باستبدال الازياء واستبدال الحروف . فما استبدال الازياء فليس هو المقصود من هذه المقالة . واما استبدال الحروف فقد كان لهُ اثر بعيد في عدة امم شرقية كالصين واليابان وفارس وافغانستان . وقد صدق احد الكتاب الانكليز بقوله ان الشرق منّ احتجابه عن الغرب زماناً هذا مداهُ فعزم ان ينزع « قبع

الاخفاء » ويبرز لتعلم اجمع . وما « تبع الاخفاء » في نظر هذا الكاتب الا الحروف القديمة التي يصعب على الغرب استجلاؤها وتعلمها . وقد كانت حتى الآن اكبر عائق في سبيل الوصول الى حكمة الشرق وعلومه . وفي الواقع ان الجهد الذي يقتضيه تعلم الحروف العربية او الصينية او غيرها من حروف اللغات الشرقية هو اعظم بما لا يقاس من الجهد الذي يقتضيه تعلم الحروف اللاتينية وقد كانت هذه الحروف من اعظم اسباب الامية في البلاد الشرقية على اختلاف اجناسها

فلا عجب اذن ان يقدم المتعلمون في الصين والهند على الاستبدال بحروفهم حروفاً لاتينية كما فعل الاتراك . ويؤخذ من انباء الصحف ان في مقدمة طلاب هذا الاصلاح في بلاد اليابان طبيباً يدعى تاتسوجي اينوى وهو ينشر المقالات في الصحف لتحريض قومه على الاقتداء بالاتراك لا لمكافحة الامية فقط بل لمكافحة الحفش اي قصر النظر المنتشر بين اليابانيين انتشاراً واسعاً . فهو يعتقد ان تعقيد الحروف اليابانية هو سبب ذلك المرض وفيه عبث كبير بالوقت لان الياباني ينفق في تعلم حروف لغته اضعاف ما ينفقهُ من الوقت في تعلم الحروف اللاتينية . فضلاً عن ان قراءة الاسطر الافقية من اليسار الى اليمين (كما هي الحالة في اللغات الافرنجية) هي اسهل من قراءة الاسطر العمودية كما هي الحالة في اللغة اليابانية

اضف الى ذلك ان احرف الهجاء في اللغتين الصينية واليابانية تعد بالالوف . فهي في اللغة الصينية كما يأتي :

٦٠٨	احرف تسمى « الرموز التقليدية »
١٠٧	« تسمى « « الفكرية »
٧٤٠	حرفاً تسمى « رموز الافكار المركبة »
٢١٬٨١٠	احرف تسمى « الرموز الصوتية »
٥٩٨	حرفاً تسمى « الحروف الاضافية »
٢٣٬٨٦٣	مجموع الحروف الصينية

ولا يزال طلاب الاصلاح في الصين واليابان وبلاد فارس وغيرها من الاقطار الشرقية يسعون لتحقيق امنيتهم وادخال الاصلاح على لغاتهم . وهم بذلك انما يقتفون خطوات الاتراك ويتشبهون بهم . وليست الصعاب التي تعترضهم لتفتّ في عضدهم او تبعث اليأس الى قلوبهم لانهم واثقون بفوزهم عاجلاً او آجلاً